الأستاذتين:

أ د/ الزهرة لحلح ود/فاطمة سوالمي

البريد الإلكتروني: zlahlahe@yahoo.com

البريد الإلكتروني: soualmifatima@gmail.com

جامعة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

عنوان الملتقى:

الطريقة الشيخية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوربا

عنوان المداخلة:

سؤال الحرية في مقاومة الشيخ بوعمامة–مقاربة أخلاقية في الآليات والمقاصد–

The Issue of Freedom Resilience through Sheikh Bouamama – Ethical approach– Implementation and goals–

من تنظيم: جامعة غرداية

الملخص

ينتقل سؤال الحرية عند الشيخ بوعمامة من المقاربة الفلسفية إلى التعبير عن الوجود الإنساني باعتبارها جزء لا يتجزأ من جوهر الحياة الإنسانية التي ينبغي أن تتحرر من كل الأغلال والقيود التي فرضتها الإدارة على الأمة الجزائرية. وهذا ما يعكس شخصية الشيخ بوعمامة سليل المنبت الصوفي الذي زوده بطاقة روحية ووجدانية مكنته من التعاطي مع إشكالات عصره ورهانات واقعه، حيث أن التحرر من أسر المادة وسلطان الهوى أمده بالقوة والصبر والثبات في مواجهة الاحتلال وتخليص العباد من قيود الاستعمار.

Abstract

The issue of freedom in Sheikh Bouamama thoughts went accross the philosophical approach to expressing human resilience as an inherent part of human life that should be liberated from all the constraints and restrictions imposed by the administration on the Algerian nation. This engagement reflects the personality of Sheikh Bouamama, a descendant of the Sufi origin that endowed him with spiritual and mystical energy that enabled him to deal with the issues of his era and the risks of his reality, as liberation from the captivity of matter and the power of passion supplied him with resilience , patience and steadfastness in confronting the occupation and liberating people from the slavery of Colonialism Subjugation.

مقدمة:

يعد سؤال الحرية من المفاهيم والمقاصد القيمية التي تعاطي بها الشيخ بوعمامة مع إشكالات ورهانات واقع أمته كذات عارفة تسيح في ملكوت الروح بعيدا عن أسر المادة وعوالقها وتستجيب لمتطلبات عصرها وتطلعات مستقبلها، خبرت الواقع السياسي والاجتماعي الذي تمسكت بأطرافه الإدارة الاستعمارية في مجتمع سادت فيه الاضطرابات والفتن والنزاعات القبلية، وهذا ما يعكس شخصية الشيخ بوعمامة سليل المنبت الصوفي والمسلك الجهادي، صاحب خبرة ومجالسة لكبار قادة القبائل وشيوخها خاصة، وهو شيخ طريقة جديدة من أصل شيخي وهي الطريقة الإيمانية أو العمامية ذات المرتكز الإيماني، هذا الأخير الذي حرص من خلاله الشيخ على تقصد كل الأنساق السلوكية والمعارف الربانية لتحقيق فعل التحرر بطريقة إعادة صياغة الأذهان صوب وازع ديني يضبط ويسيطر على ذلك لواقع.

إلى حدود هذا الكلام نصل إلى إشكال الدراسة:

ما طبيعة ومفهوم سؤال الحرية في مقاومة الشيخ بوعمامة؟ ماهي مضامين فعل التحرر وأبعاده في مقاومة الشيخ؟ ماهي آليات البنى الروحية التي اعتمدها الشيخ بوعمامة لتحقيق فعل التحرر؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اتبعنا الخطة لتالية:

خطة الدراسة:

1-ترجمة الشيخ بوعمامة.

2-سؤال الحرية وفعل التحرر عند الشيخ بوعمامة.

3-المبنى الأخلاقي في مقاومة الشيخ بوعمامة.

1-ترجمة الشيخ بوعمامة:

الشيخ بوعمامة رحمه الله تعالى "هو محمد بن العربي بن الحرمة بن إبراهيم بن لتاج عبد القادر بن محمد سيدي الشيخ القطب بن سليمان بن سعيد بن أبي ليلة بن عيسى بن أبي يحي بن معمر الملقب أبو العالية بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفص الملقب حرمة الله بن عساكر بن زيد بن حميد بن عيسى بن عبد الرمان بن سيدنا أبو بكر الصديق τ وهو من ذرية سيدي لتاج احد أبناء عبد القادر بوعمامة الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ، ولد الشيخ بوعمامة حوالي 1838 أو 1840م بفيقيق في قصر الحمام الفوقاني[1].

وذكر أيضا أنه من مواليد أمغار في حدود 1845م[2]، حيث نشأ وترعرع بهذه المنطقة التي عرفت بالتوتر وعدم في النصف الاخير من القرن التاسع عشر خاصة والمنطقة حدودية تعرف طغيان قطاع الطرق وتناحر القبائل فيما ينهما إضافة إلى تضافر الاعتداء الفرنسي على الأراضي الجزائرية.

والشيخ بوعمامة سليل أسرة علم ودين عريقة النسب والحسب حفظ القرآن الكريم في الزوايا وتلقى بها أيضا مبادئ العلوم وهذا لان والده السي العربي قرر أن يكون ابنه بوعمامة ملازما للشيخ محمد بن عبد الرحمان، وهو أحد مقدمي الطريقة الشيخية الذي لقنه أي القرآن الكريم وكذا لحديث الشريف كما أخذ عنه أوراد الطريقة الشيخية والأذكار ثم المبادئ العامة للتصوف، ما يبين أن الشيخ عاش في وسط أسرة تتميز بالتصوف الأمر الذي انعكس على ملامح شخصيته واتساق سلوكه، حيث اتبع حياة

---

[1]_إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، العدد الأول، 1999م، ص 103.

[2]_إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، الجزائر، القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 106.

الزهد والنسك مستغلا أوقاته في التعبد وتعليم القرآن ودراسة المسائل الفقهية، وقد كان الشيخ بوعمامة قد احترف الرعي وفق طرق تقليدية أمام الظروف الصعبة لتجارة القوافل التي كان مصير مشتغليها الإغارة والسلب، غير أنها كانت تشكل همزة وصل بين لصحراء والتل الوهراني، مما هيأت للشيخ توطيد علاقات واكتساب خبرات[1].

غير أن مزاولة الشيخ بوعمامة للتجارة لم تمنعه من التعمق في العلوم لدينية عموما والصوفية خصوصا إلى حد ما يختلف عن جده سيدي سليمان بسبب أن التعليم في منطقته كان يعتمد على حفظ القرآن الكريم والحديث والمتون دون تدبر يتلقاه على أيدي محافظين مشارطين يفيدون من نافيلات وكرزارة وقوارة، غير أن مقارنة المستوى التعليمي الذي كان يتلقاه بمفاهيم عصرنا التعليمية يعد مقارنة غير متكافئة لأنه رسخ مفاهيم عصره ومحيطه الاجتماعي بعد ثقافة ومعرفة عالية، حيث كان في نظر الأغلبية من المحيطين به عالما ربانيا دون منازع خاصة والعصر والظرف الذي يعيشه الشيخ بوعمامة لم يكن يزخر بحواضر متميزة بالعلم والعلماء في تلك لمنطقة من مناطق الجزائر، غير أنه ورغم هذه الجهات الثقافية استطاع استيعاب رهانات وأحداث زمانه بفعل ما رزق من حسن إيماني ودهاء سياسي وكان صاحب خبرة بمجالسه ومعارف شفوية مهمة رفعته إلى مصاف كبار القادة وعظماء الرجل.

أنشأ عام (1857م) بأمغار التحتاني جنوب ولاية النعامة زاويته لتي اعتمدت الطريقة العمامية أو الإيمانية التي يتذكر المصادر التاريخية بشأنها أنها كانت تتصرف مرجعيتها لطريقة اجداده لمتصلة أساسا بالطريقة الطيبية ذات الانتشار الواسع بالمغرب الأقصى والغرب الوهراني، وقد انتشرت الطريقة العمامية في الجنوب الجزائري وفي الهضاب العليا الغربية الجزائرية وكذا غرب الجزائر وشرق المغرب الاقصى، حيث اعترفت به وفود القبائل سيدا جديدا للزاوية الشيخية وشيخا روحيا لطريقته العمامية المرتبطة به شخصيا لما لمست منه من شرف النسب والسمعة الحسنة وسيرته الورعة[2].

كل هذه الخصال جعلت منه محط آمال المجتمع في الانعتاق من نير الاستعمار خاصة وهو الساسي المحنك والعسكري العريق وبالفعل كان في مستوى تلك الآمال حيث قاد أقوى الثورات الجزائرية آنذاك، ثورة الشيخ بوعمامة التي دامت 18 عاما من أفريل 1881م إلى اكتوبر سنة1899 م فكانت بذلك أطول الثورات التي قام بها الشعب الجزائري، حقق خلالها انتصارات ذائعة الصيت بمعارك بطولية خاضها بوعمامة الناسك المجاهد بمعية جنود الحق بكل شجاعة وإخلاص ووافته المنية يوم 7 أكتوبر سنة 1908م بشهر محرم سنة 1372هـ عن عمر يناهز 88 سنة بعيون سيدي ملوك بالقرب من

---

[1]_عبد الحميد زوزو، "أضواء على ثورة بوعمامة 1881"، الجزائر، مجلة الأصالة، العدد31، المجلد 13، محرم 1396، جانفي 1976م، ص 81.

[2]_إدريس بن خويا، مرجع سابق، 107، 106 وانظر الموقع الإلكتروني ciqes.net المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية.

مدينة وجدة المغربية[1].

2-سؤال الحرية وفعل التحرر عند الشيخ بوعمامة

أ-سؤال الحرية:

السؤال هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وقد يكون للاستعلام أو للتبكيت وتارة أخرى لتعريف المسؤول وتبيينه، وقد يكون السؤال من المتكلم عما يعلمه كما لوكان يسأل عن ما لا يعلمه[2]، وهذا يعني أن مدلول السؤال ينصرف إلى ذلك الفعل للساني الذي قوامه الإعلام إما بوظيفة العبارة وإما بمنطوق من خلال الإشارة[3].

غير أننا في هذا المقام ننبي بالسؤال هنا هو الجانب الموضوعي من الحرية أي طلبها كمسألة ومبدأ إنساني وتحقيقه واقعا وممارسة.

والسؤال عند الشيخ بوعمامة هناك لا ينصرف إلى مدلول السؤال الفلسفي، وإنما هو إشكال الأمة وهم مجتمعه الذي استشعره بشفوف روح الناسك وهمه السياسي والعسكري المحنك فهو إذا سؤال الانشغال بهم الأمة الجزائرية الذي ربطه بالحرية.

وتعد النزعة إلى الحرية والانعتاق من القيود والاغلال والتعلق بأسباب الفعل التحرري من النزعات الاصيلة في الوجود الإنساني لأنها شوق طبيعي به للإنعتاق من كل الاغلال والتحرر من القيود، إذ كل المعطيات الوجدانية والدينية والحضارية تدفع إلى الاعتقاد الجازم بأن الحرية هي من ضروريات حياته ووجوده، ولا تتحقق إنسانيته بالكامل إلا بها، نجد القرآن الكريم يشدد ويؤكد على ضرورة رفض القوى الحائلة دون رؤية الحق والحقيقة قال تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ]** [4].

فالإنسان المسلم مطالب من خلال الهدي القرآني بالتحرر من كل أنواع التسلط وهذا هو المضمون الذي نجده خلال مطالعة التعارف الاصطلاحية لمدلول كلمة الحرية فمثلا نجد أحمد حافظ نجم يعرفها قائلا: "مجموعة الحقوق الأساسية التي لا يستغني عنها الإنسان في حياته والتي تكفل الدولة الاعتراف بها وتنظيمها وحمايتها"[5]، ولعلّ تعريف محمّد رشيد رضا يقترب في أبعاده ومضامينه مع

---

[1]_

[2]_عبد المنعم الحنفي، المعجم الشمل، القاهرة، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، 2000م، ص 421.

[3]_آنذريه لا لاند موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، ط2، منشورات عويدات، 2001م، ح2، ص 1094.

[4]_سورة البقرة الآية 170.

[5]_نجم أحمد حافظ، حقوق الإنسان بين لقرن والإعلان، مصر، دط، دار الفكر العربي، ص 13، نقلا عن رداد عبيد، سؤال الحرية عند ابن باديس، مذكرة ماستر، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر لعلوم الإسلامية، 2018-2019، ص 8.

طبيعة سؤال الحرية وفعل التحرر في ثورة الشيخ بوعمامة هو : "تحرير البشر من هذه العبودية، الحرية هي التي يكون بها البشر بشرا، لا غنما ولا بقرا، فالإنتفاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الإنساني إلى العلوم والاعمال التي ترتقي بها الأمة، والأخذ بها بلا شرط أو قيد لا بإتباع الشهوات وإتيان الفواحش والمنكرات ولهذا كان لحكماء ومحبو الإنسانية ينشدون الحرية ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم[1].

أما الحرية عند لشيخ بوعمامة فهي مقصد وحق شرعي لكل إنسان وهي مصدر الوجود وروح الحياة التي ينبغي أن تتحرر من كل الأغلال ماعدا عبودية الفرد لخالقه الذي استعانت به عزيمة الشيخ لممارسة فعل التحرر الذي سنبسط الكلام به في العنصر الآتي:

ب-فعل التحرر:

ليس بالغريب أن يدخل الشيخ بوعمامة التاريخ من أوسع وأشرف ابوابه أمام صيته العسكري ونفوذه الروحي الذي ضيق بهما الخناق على المستعمر الفرنسي بالجنوب الجزائري، حيث تعد مقاومته وثروته حلقة متينة ومميزة من حلقات مقاومة أولاد سيدي الشيخ ضد المستعمر لتي استمرت ثمان وعشرين سنة من عام 1881م-1908م حيث ابتدأت باستنفار الشيخ بوعمامة للقبائل الصحراوية لتلي الدعم والتأييد من طرفهم، وهذا يعني إيفاء مبعوثين مهمتهم التعبئة وإعلان النفير، وكذا جمع السلاح والعتاد، وقد كان مقاديم الطريقة العمامية هم من تصدروا لهذه المهمة، بانتشارهم عبر كل قبائل ثرافي ورزانية وقرندة وتيارت وبالفعل تلقى كل الدعم من قبائل عمور، حميان، والشعابنة.

هذا فضلا عن إرسال المدد من أولاد سيدي الشيخ الغرابة مما مكنه من جمع حوالي ألفين وثلاثمائة جندي، استغل به غياب الجيش الفرنسي بالمناطق الوهرانية عام 1881م، وأعلن الجهاد المقدس الذي كان أول سجال به يوم 27 أفريل 1881م بين الصفوف الجهادية التابعة للشيخ بوعمامة والقوات الاستعمارية بموقعه سفيسفة التي اسفرت عن انهزام الجيش الفرنسي، واستشهاد بعض رجال الشيخ بوعمامة، أما عن ثاني مواجهة عسكرية فقد كانت في 19 ماي 1881م بمكان سمه المويلك الواقعة قرب قصر الشلالة بجبال القصور أين دارت معارك عنيفة، كان النصر فيها حليف الشيخ بوعمامة، وهذا ما حفز العدو الفرنسي على إرسال قواته نجو الجنوب الغربي لتطويق المقاومة وإجهاضها ومعاقبة القبائل المشاركة مع لشيخ بوعمامة تلاها نسف ضريح سيدي الشيخ في 15 أوت 1881م ونبش قبره[2].

---

[1]_لجنة من الباحثين في قضية الحرية، لبنان، دط، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص 273.

[2]_ابراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، ص 104.

وأمام تزايد الضغط على الشيخ بوعمامة، وتزايد القوات الداعمة للمستعمر، اضطر الشيخ إلى الانسحاب نحو منطقة فيكك بالمغرب الأقصى، غير أن قوات الاحتلال لاحقته وتعقبت تحركاته بوافر من التنكيل والإبادة إلا أن الشيخ رد عليهم بهجوم عنيف في شط تيغري وكبدهم خسائر فادحة، مما أعطى دعما كبيرا لمقاومة الشيخ.

وبعدها دخلت مقاومة الشيخ في مرحلة فتور بعد استقراره بالحمام الفوقاني عام 1883م، استعدادا لتنظيم الصفوف وشحد الهمم أمام تخوف رهيب من الاستعمار الفرنسي، الذي بدأ في الضغط على السلطان المغربي لطرد الشيخ وبالفعل اضطرر الشيخ بوعمامة إلى مغادرة المنطقة والاستقرار بإقليم توات إلى غاية 1894 حيث أسس زاويته وعكف على تنظيم الدروس الدينية لمواصلة الجهاد في الجنوب الغربي بطريق مراسلة القبائل الصحراوية خاصة قبائل الطوارق الذين الحوا عليه في الانتقال غليهم، لمؤازرته والتعاون على الجهاد المقدس الذي شددت حوله قوات الاستعمار الخناق من خلال توسعها بالجنوب، وإقامة المؤسسات الاقتصادية، وإنشاء المراكز التجارية[1].

وخلال هذه الأحداث استطاع الشيخ أن يكسب الانصار بتأييد القبائل الصحراوي ثم استقر بالعوج التحتاني في سنة 1896 م على حافة وادي زوزفانة قرب فيقيق بغرض رصد الصفوف وجمع الإمكانات واستقبال الوفود، التي لبت دعوة الجهاد، هذا بالموازاة مع سعيه لتطهير العلاقة بين القبائل المتناحرة لكسب إمكاناتها لصالح مقاومته الجهادية، وبعد هذا التاريخ غادر بوعمامة المغرب متنقلا إلى الشمال بوجدة وطيلة السنوات الباقية من حياة الشيخ بوعمامة قضاها في الجهاد تحت مراقبة ومحاصرة القوات الفرنسية بقيادة الجنرال ليونتي (Lyaunty) وأخيرا التجأ الشيخ بوعمامة إلى ضواحي وجدة بعين سيدي ملوك حيث توفى بالسابع من أكتوبر 1908 ودفن هناك.

3-المبنى الاخلاقي لمقاومة الشيخ بوعمامة:

يمكننا القول أن قوة الوازع الديني ومركزية البعد الروحي في شخصية الشيخ بوعمامة ترجع إلى بدايات التلقي الروحي له من طريق إصرار والده السي العربي بن الحرمة على ملازمة الشيخ بوعمامة لأستاذه الشيخ محمد بن عبد الرحمان، أحد مقدمي الطريقة الشيخية، حيث حفظ، أي القرآن الكريم والحديث الشريف وكذا اذكار الطريقة الشيخية وكل المبدئ العامة للتصوف، بالقدر الذي أهله لان يكون الشيخ بوعمامة مقدما بزاوية أمغار مستقبلا[2]، بحكم أن ترجمة الشيخ تفيد انه قد انخرط في سلك حلقات العلم متدرجا في طلب العلوم الدينية، من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية مرورا بكل

---

[1]_إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، ص 106، 107، 108.

[2]_إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، ص 124، 125.

المدارس الكلامية.

كما ينقل مترجمو الشيخ بوعمامة أنه انكب على دراسة التصوف وطرقه بالشكل الذي أثر تأثيرا عميقا على حياته وسلوكه[1]، وهذا ما جعل مجالسه روضة من رياض الجنة، فلا يذكر أحد بسوء حيا أو ميتا، بل كانت مجالسه كلها رياض علم ودعوة إلى الله عز وجل، وحركة إصلاح قال عنه الشيخ ابن باديس "وجود عبد الله بالمغرب العربي دليل على وجود العلم"[2]، حيث كانت زاويته بامغار التحتاني مركزا للقاء مختلف القبائل، وتداولها أمر الثورة ومقاومة المستعمر الفرنسي، وهذا ما يتيح لنا القول أن الشيخ بوعمامة في نسقه الثوري الجهادي ومسعى المقاومة، كان يعكف على بناء فطري للمجتمع من خلال ربط الرجال بالإيمان بقضاياهم العادلة، وموازاة سير ذلك البناء نحو صيرورة المجتمع ورهاناته الرامية إلى تغيير الواقع وفق المقاصد والمبادئ الاخلاقية، وذا هو فحوى مخططه الإصلاحي السياسي، الذي ارتآه ان يكون مرتبطا بالحياة الروحية والقواعد الاخلاقية التي التزم بها هو استنادا لمشيخته بزاويته وطريقته التي أطلق الطريقة العمامية أو الإيمانية[3].

وتذكر الدراسات المهتمة بمقاومة الشيخ بوعمامة أن طريقة بوعمامة الصوفية كانت هي نفسها طريقة اجداده اولاد سيدي الشيخ، التي تستند في مرجعيتها إلى الطريقة لشيخية، ذات الانتشار الواسع بالمغرب الأقصى والغرب لوهراني، والرجل نفسه لم يكن يجنح إلى الانفصال والاستئثار بالزعامة الدينية، بدليل أنه أجاز لأصحابه أن يجمعوا بين طريقته وطريقة أخرى، بحيث كان له ذكر بعطيه لاتباعه، ذكر أنه اخذه عطية من سيدي الشيخ بالرؤية والمكاشفة، وهذا ما أورده الدكتور سعد الله عن بعض المؤرخين الفرنسين[4].

ولعل ما يقوي هذا الرأي اعتماد الطريقة العمامية للأذكار الشاذلية المعتمدة من طرف الطريقة الشيخية التي يتلقاها المريدون ويرددونها في أوقات معينة بالإضافة إلى قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، أما الذكر الذي ينسب للشيخ بوعمامة فهو لتشهد والاستغفار.

والصلاة على النبي ρ وهو نفسه الذكر الذي ينسب لسيدي الشيخ، وهذا ما يبين عن ارتباطه بالكريقية الام واعتباره من شيوخ سلسلة الطريقة الشيخية، ولعله الأمر الذي يفسر سرعة انتشار طريقة الشيخ الإيمانية في الجنوب الجزائري وكذا الهضاب العليا الغربية الجزائرية وغرب الجزائر وشرق المغرب

---

[1]_إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، ص 106.

[2]_محمد زروقي، لتصوف الإسلامي في فرنسا، ص 141، وانظر الموقع الالكتروني:mokhtari.over

[3]_إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، ص 106.

[4]_

الأقصى، بل أنها وصلت إلى تركيا والسودان وبلدان آسيا[1].

ومن خلال هذا الانتشار كانت الطريقة الإيمانية تدين أشكال وصور الخلاف، حيث كان يدعو أحبابه ومريديه وأتباعه إلى الوحدة بين مختلف الطرق الصوفية مع تقصد معالجة النعارات القائمة بين القبائل والاوضاع المزرية والقلقة التي كانت تعيشها المنطقة كالاحقاد والفرقة بين الأهل، وكل هذه الأوضاع قربت ذهنية أبناء لمنطقة من إدراك الشيخ بوعمامة ولذا ارتكزت الآليات الأخلاقية والمضامين الروحية لثورة الشيخ بوعمامة على إحكام روابط الصلة الروحية بين القبائل بالشكل الذي يعيد معه صياغة تلك الذهنيات بتنقية القلوب من الضغائن، فجعل بين القلوب ميثاق المحية التي تتعلق بأسلوبه الورع وحياته الجهادية القائمة على مقامات وأحوال العارف المتدرج في سلم الصفاء، فصمم أن يعتمد الوازع الديني كمنهجية وأداة يتوصل من خلالها إلى مبتغاه وهو استيعاب تلك الذهنيات والعقول المتأثرة بسلطته الروحية، لأن الوقع الذي كان عليه آخر القرن التاسع عشر من غارات متتالية من طرف قطاع الطرق أو مخزن سلكان المغرب الأقصى وسفهاء القبائل، كل تفاصيل هذا المشهد ولدت لدى الشيخ الزاهد عزيمة إصلاح أحوال البلاد والعباد بتغيير ذهنية الفئات التي كانت تقوم بنهب وسلب أموال الناس والانتقال بها من الصراعات المحلية إلى الجهاد المقدس ضد المستعمر الفرنسي وتعبئة تلك الذهنيات والأفئدة بالوعي السياسي الوطني الذي يذكي فيهم حب الحرية والاجتماع على مقصد كريم مقدس هو واجب التضحية وحب أبناء أمته[2].

ومن الطبيعي أن يتربص المستعمر الفرنسي بجهاد الشيخ وجنود الحق معه، فقامت بتعقبه والتشنيع عليه بأقبح التهم لتوهن مقاومته، غير أن الرجل كان قبله معلقا بحب الله والوطن، فما كانت تلك التهم لتثنيه صون أمانة الوطن ومواصلة جهاده المقدس، ويشهد لهذا مضامين تلك المراسلات التي بعث بها الشيخ بوعمامة إلى اعيان القبائل لتبليغهم رسالة الجهاد والظفر بالحرية: "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله: جماعتنا المحروسة بعين الرضا قبيلة بعد قيلة من غير تخصيص، نعلمكم أعلمكم الله خيرا على أمر لجهاد في سبيل الله بعدما فرق الكفار الفرانساويون ين الأخوة وفسقوا في أرضنا، واستحلوا حرماتنا، أرادكم الله وأعانكم، وللخير والجهاد وفقكم"[3].

ليس بالخفي الدلالات الإيمانية والمعاني الربانية التي يضج بها ويزخر بها نص الرسالة من حيث محورية فكرة الجهاد ورساليته والتأكيد على سمت المريد المجاهد التي وردت بالرسالة وهذا لأن أتباع

---

[1]_مقلاتي عبد الله صالح لميش، البعد الثوري للطريقة الشيخية ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص 120. 1

[2]_صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر والإسلام، دار البصائر، 2009م، ص 80.

[3]_ادريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، ص 160.

الشيخ ومريدوه يعتبرون أنفسهم جنود الحق، وأصحاب رسالة جهادية إيمانية مقدسة ترتبط بتعاليم الطريقة العمامية التي يعلو سنام قواعدها البذل في سبيل الله، وأول ذلك بدل النفس فلإعلاء كلمة الله ودحض الباطل وجنوده وهم جنود فرنسا وأعوانها لان الطريقة محفوظة في صدور المريدين والأتباع بمحبة لأن التصوف محبة واتباع الحق، ذلك الحق الذي يستوعب آمال وآلام أبناء وطنه وأمته، طقوس التجريدية التي تحمل معاني نسك مهزوم هو بالأساس يتموقع خارج حيز الخبرية الإنسانية والفعالية الاجتماعية، بل هو نسك يشمل نظام الحياة وواقع البلاد، أي جوهر النظام السياسي للبلاد الذي يحقق ويضمن حرية أرضه وأبناء أمته من غصب ثقافي ومسخ ديني ونهب لتروات بلاده، ولهذا لم يحدث أن انفصل أو تأخر عن مريديه ممن انضووا تحت راية جهاده، كجنود للحق اقتنعت بان تحارب قوات الفكر وتنافح عن الحرية، ليس لهم حظ من هذا كله إلا الإيمان القوي بنصر الله الذي سيتحقق كما يقول الشيخ بوعمامة على يد مجاهدين أوفياء يدافعون عن شرفهم ولا يستكنون أمام جبروت الظالم المستبد وبصبر واحتساب عظيمين للظفر بمثوبة الخالق ورفعه في درجات الجنان لتي تتلهف نفس العارف الرباني لنيلها بعد استماتة جسدية وقلبية ليعلو بها كلمة الحق لتي تمازحها لحظات الصبر تشد أزرهم حينها حلقات الذكر التي كان يقيمها الشيخ بوعمامة لتلاوة القرآن في حلهم وترحالهم أين تشحذ الهمم باستعادة جنود الحق لأورادهم، زاد عينهم الصوفية المداومة على التكبير والتسبيح لاستحضار الحضرة الربانية في كل سكناتهم وخلجاتهم، إنه فعل تحرري يقوم على أبعاد اخلاقية روحية، ويسكنه هم الحرية لإعلاء كلمة الحق وتحقيق الإصلاح والإعمار في أرض الله.

لم تكن مسيرة الجهاد والمنافحة العسكرية لتمنع بروز الشخصية الموسوعية للشيخ والمرتبطة أساسا بتكوين عقدي صوفي، فكان يطرح بثقة كبيرة بتحصيله العلمي مجموعة من المباحث العقدية التي يتمحور حولها الحية الروحية بالزوايا، وهي مسألة الولاية والبركة لما لها من ارتباط وثيق بفعل التحرر من حيث تلبس تلك المسألة بعدم تقديم أسباب الجهاد والفعالية ككل، بحجة ميراث الولاية والبركة من غير جهد فعلي لصاحبه وهذا ما يبرز روح النقد للشيخ بوعمامة عن طريق صياغته للمفهوم لمغال لمسألة الولاية القائم على الإيمان الخالص بالله وتوحيده، وسنام تلك الولاية كما يقول هي تقوى يحدها الولي في قلبه فيزكي بكرامات.

أما الولاية فهي مسألة شخصية لا دخل لانتماء صاحبها لعائلة أو طريقة صوفية معينة، وهو بذلك يقصد اولئك المتشبثين بالنسب والانتماء لتحصيل الولاية دون تقديم لصالح الأعمال، فإذا اعتقد أي كان أن انتماءه لسيدي الشيخ قد ضمن له مكانا في الجنة فقد وقع في الزلل.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة نصل إلى أن الشيخ بوعمامة هو نموذج الناسك في محراب الوكن بكل آماله وآلامه، تملكه عشق الوطن والفناء في حبه والذود عنه فانشغل بالفعل التحرري وإعادة صياغة المشهد في البلاء الذي كانت تعاني منه الجزائر آنذاك من استعمار ونزعات الدروشة والجدب الغازات المتبادلة بين القبائل في شتات اجتماعي وسياسي عميق استهدفه لشيخ بمبنى روحي وحنكة سياسية وعسكرية ووفق خطة تعاطت مع إعادة صياغة الذهنية والانتقال بتلك القبائل من الصراعات المحلية على الجهاد ومقاومة الاستعمار الفرنسي لتحقيق الحرية بكل مستوياتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، العدد الأول، 1999م.
2. إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، الجزائر، القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
3. عبد الحميد زوزو، "أضواء على ثورة بوعمامة 1881"، الجزائر، مجلة الأصالة، العدد31، المجلد 13، محرم 1396، جانفي 1976م.
4. عبد المنعم الحنفي، المعجم الشمل، القاهرة، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، 2000م.
5. آندريه لا لاند موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، ط2، منشورات عويدات، 2001م.
6. نجم أحمد حافظ، حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان، مصر، دط، دار الفكر العربي.

7. لجنة من الباحثين في قضية الحرية، لبنان، دط، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م.
8. محمد زروقي، لتصوف الإسلامي في فرنسا.
9. مقلاتي عبد الله صالح لميش، البعد الثوري للطريقة الشيخية ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي، منشورات الشؤون الدينية 1 والأوقاف، الجزائر، 2011م.

(1).

(1)_